



الرحالة المغاربة وأثرهم في نشر ثقافة المصنفات العلمية في بلدان المغرب خلال العهد العثماني

د/ ليلي غوييني

Leila ghouini

جامعة البليدة 2- لونيبي خوجة (الجزائر)

ghouini.leila@gmail.com

المرسل: ليلي غوييني

النشر: 2022/04/16

القبول: 22/03/22

الارسال: 22/02/25

الملخص: تهدف هذه الدراسة بالدرجة الأولى إلى رصد ظاهرة نشر ثقافة المصنفات العلمية سواء في المؤسسات الثقافية أو بين أهل العلم خلال الفترة العثمانية، من طرف الرحالة المغاربة، فأثناء تجولهم في مختلف البلدان المغربية، سجلوا انطباعاتهم العلمية المتمثلة في اقتنائهم للكتب والحديث عن التأليف وأصحابها، كما قدموا تقارير للكتب التي أُلِّفت في البلدان التي زاروها، وعرفوا بأصحابها، وتبادلوا الإجازات التي كان من ضمنها إجازة العالم لما أُلِّف من مصنفات علمية، فساهم ذلك في التعريف بالإنتاج العلمي لعلماء الفترة، وشكلت كتابات هؤلاء الرحالة المادة المصدرية التي أوضحت دورهم الفعال في جلب الذوق الثقافي للأماكن التي حلوا بها وارتحلوا إليها من خلال اقتناء الكتب والترويج لبعض المصنفات وكذلك تنشيط الحركة العلمية والمساهمة فيها. الكلمات المفتاحية: الرحالة المغاربة- المصنفات العلمية- اقتناء الكتب- الثقافة- الإجازات العلمية.

Abstract

This study aims primarily to monitor the phenomenon of the dissemination, by Moroccan travelers, of the culture scientific works, whether in cultural institutions or among scholars during the Ottoman period. In fact, during the of wanderings of the travelers in the various Maghreb countries, they left their scientific impression through acquiring books their authors. They also offered eulogies about books that were written in the countries they visited, and discussing introduced their authors, and exchanged licenses, among which the scholar's license for his scientific works, which his production of the scholars of the period. The writings of these travelers constituted contributed to introducing the scientific to, the source material that clarified their effective role in bringing the cultural taste to the places they visited and migrate d the promotion of some works, as well as stimultating the scientific movement and through the acquisition of books an .contributing to it

Keywords. Historical studies, scientific -culture -acquisition of books -scientific works -Keywords: Moroccan travelers .licenses

مقدمة:

تقوم كتب الرحلات بدور التعريف المفصل بالحياة الثقافية والعلمية والاجتماعية والدينية للمجتمعات التي يمر بها الرحالة، ويمكن ملاحظة ظاهرة نشر المصنفات العلمية عن طريق الرحالة المغاربة في مختلف البلدان والأقطار؛ من خلال مسالك الرحالة ومجالسهم التي خالطوا فيها أهل العلم والأدب والتصوف في جوامع بلاد المغرب ومدارسه وزواياه.

فكيف كانت مساهمة الرحالة في نقل المشهد والذوق الثقافي لحركة الكتب العلمية في المجتمع المغربي، وإلى أي مدى بلغ تأثيرهم ودورهم؟

وسيتم في هذه الدراسة تعقب مظاهر نشر ثقافة المصنفات العلمية في مختلف بلدان المغرب وبين العلماء من خلال ما دُوّن في كتب الرحلات المشهورة، مثل: رحلة التمكروطي والعياشي والمقري والورثيلاني وأبي راس الناصر والدري، بإضافة إلى رحلة ابن حماودش وابن زاكور وغيرها من الرحلات.

أولاً- الرحالة واقتناء المصنفات:

كان للرحالة دور هام في نقل المصنفات العلمية عن طريق اقتناء الكتب، التي كانت تحمل معها أذواق وأفكار وثقافة البيئة الحاضنة لمؤلفيها، وبوصول هذه المصنفات إلى أسواق الكتب؛ أصبحت مادة يعمل عليها الوراقون، كما دخلت إلى المؤسسات العلمية وأصبحت جزء من النشاط الثقافي المحلي. وقد كان اقتناء الكتب في إطار الرحلات العلمية أو الحجاجية أو الرحلة السفارية أو رحلة التكلفة، أهم جسر انتقل عبره المصنفات العلمية، وذلك عبر طريقتين:

أ- عن طريق الرحلة العلمية والحجاجية:

وهي الرحلات التي قام بها العلماء سواء كانوا طلبة علم، يزاولون تعليمهم بالمؤسسات العريقة، كالأزهر وغيره من الجوامع الكبرى في أقطار البلاد الإسلامية، وعند رجوعهم كانوا يجلبون معهم الكتب، والملاحظ أن مصر والمشرق كانت أهم المحطات العلمية التي كان يقصدها هؤلاء، فكان مصر تعد المحطة الأبرز التي كان يقصدها المغاربة المهتمون بجلب الكتب سواء كانوا طلبة للعلم أو الحجاج المغاربة، ومن ذلك: العالم إبراهيم الجميني التونسي، الذي درس بالأزهر، وزار مصر عدة مرات فجمع كتباً وحملها إلى مسقط رأسه مدينة جمنة، وأفاد طلابه بها¹. وقد ذكر المؤرخ المصري عبد الرحمن الجبرتي، نقلاً عن والده أن بعض الحجاج الجزائريين، وردوا إلى مصر سنة 1196هـ/1781م، واقتنوا كتباً كثيرة، كانت في مجملها تهتم بالعلوم العقلية².

وفيما يتعلق بالرحلة الحجازية فجل الرحالة كانوا أثناء رحلاتهم يقومون بشراء الكتب وجليها معهم، فعلى سبيل المثال: ما يذكره العياشي أثناء رحلته الحجّية باقتناؤه سفر من "نوازل البرزلي" بثمان بغييس، ونسخة "أنوار البورق في تعقب مسائل الفورق" لقاسم بن عبد الله بن محمد بن الشاط البستي (ت 1323/723م)، ونسخة من كتاب "أنوار البوارق في أنواء الفروق" لشهاب الدين أحمد القرافي³.

ويتحدث الدرعي عن اهتمام علماء طرابلس بشراء نفائس الكتب، ومن ذلك: أنّ العالم أبا الطبل الطرابلسي، الذي تعرف عليه أثناء رحلته الحجّية، أطلعه على نسخة من صحيح البخاري بخط الحافظ أبي علي الصّدي، كان اشتراها من اسطنبول، وقد أراد الدرعي شرائها لما تحمله من قيمة علمية نظرا لمكانة ناسخها وما عليها من تملّكات وخطوط علماء كُثر من بينهم القاضي عياض وابن حجر العسقلاني، وقد عرض عليه مقابلها مائة دينار ذهبي، لكن صاحبها رفض البيع، رغم إلحاح الدرعي⁴.

أما الرحالة الجزائري ابن حمادوش، فقد كان دقيقا في معلوماته حول عملية اقتناء الكتب، فذكر أنه اشترى أثناء رحلته العلمية في المغرب الأقصى، مجموعة من الكتب وذكر أثمانها وأسمائها، كشرائه لمقامات الحريري بخمسة أواق موزونات بمدينة تطوان، وشمائل الترمذي وشرحها لابن ملخص، وكتاب مفيد الحكام لابن هاشم، ونسخة من مختصر القزويني، ونسخة من الدواني، وكتاب مضحكات ابن عاصم، كما أنه اشترى شرح ميارة على لامية الزقاق⁵.

ب- عن طريق الرحلة السفارية أو رحلة التكلفة:

كان الحكام لا يرتادون الأسواق بأنفسهم لاقتناء الكتب؛ إلا أنهم كانوا يكلفون من ينوب عنهم، من وزراء أو سفراء أو علماء، وفي هذا الصدد فقد قام الحكام بتكليف بعض العلماء بغض النظر عن مقاصد رحلاتهم سواء كان دبلوماسيا أو علميا أو لمقصد الحج أو كانوا يقومون بتكليفهم بشكل مباشر بهدف اقتناء الكتب التي يوقفونها على المؤسسات العلمية أو يضمونها مكتباتهم الخاصة.

وحتى يحسن المقال يذكر المثال: فمن حكام الجزائر الذين اهتموا باقتناء الكتب الداوي محمد باشا بكير الذي أرسل ممثلا إلى اسطنبول سنة 1167هـ/ 1753م، وكلفه بشراء مجموعة من النفائس، منها: "الشفاء" للقاضي عياض، "تفسير الخرخشي"، "الإصابة في معرفة الصحابة" للحافظ ابن حجر، "تفسير البيضاوي"⁶. ومن ذلك أيضا أنّ الداوي التونسي علي باشا أرسل مفتيه حسن البارودي إلى الأستانة لاقتناء أكثر ما يمكنه اقتناؤه من أحسن الكتب، التي كان من بينها: كتاب "حواشي الكشاف". كما أرسل نفس الباشا أيضا سفارة إلى المغرب الأقصى، واشترى كتبها من فاس، كان من بينهما نسخة من تاريخ ابن خلدون⁷.

واتخذ سلطان السعدي في المغرب أقصى أحمد المنصور الذهبي سفيرا خاصا له بالأستانة لاقتناء الكتب منها⁸، وكان يكلف سفرائه بشراء الكتب، فيذكر المؤرخ أبو الحسن علي بن محمد بن أبي الحسن علي بن محمد التمجروتي، أنه جلب معه كتب متنوعة من رحلته الدبلوماسية لصالح خزنة كتب السلطان المنصور⁹

كالنسخة من كتاب "فتوح الرحمن" للشيخ أبي بكر الموصلي، ذكر أنّه اشتراها من القسطنطينية سنة 998هـ/1589م¹⁰. كما كلف المنصور وزيره محمد بن علي الفشتالي، الذي أرسله سفيرا للسلطان العثماني في اسطنبول، لاقتناء ما ينيف على المائة تأليف في علوم مختلفة ما بين الأمهات والأصول¹¹. وبالإضافة إلى الفشتالي، كان الأديب محمد الأمين الدفترلي من الذين يقتنون الكتب للمنصور، فقد كان كثير المراسلة له، يجمع النفائس ويبعثها له¹².

وسار السلاطين العلويون على نفس منوال سابقهم، ومن ذلك أنّ السلطان العلوي زين العابدين بن إسماعيل خصص ألف دينار للفقيه أبي علي الحسن بن أحمد بن رحال التدلوي المعداني لشراء الكتب¹³. وأبرز مثال يوضح اهتمام السلاطين باقتناء الكتب النادرة ما قام به السلطان العلوي أبو الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله الذي عمل جاهدا على شراء نسخة صحيح البخاري التي نسخت بخط الحافظ أبي علي الصديفي التي كانت بحوزة العالم الطرابلسي أبي الطبل، والتي رفض بيعها للرحالة الدرعي – كما سبقت الإشارة- فأوعز بأمرها للسلطان الذي أرسل لملكها ألف مئقال أو ريال، وابتاعها منه¹⁴.

ثانيا- دور الرحالة في ترويج لمصنفات العلمية:

كان للرحالة المغاربة دور هام في عملية الترويج للمصنفات العلمية وتنشيط حركتها عبر أساليب مختلفة، منها: تجولهم في أهم أسواق الكتبيين أو عن طريق ملازمتهم للمكتبات، كما أنّهم دوّنوا في كتب رحلاتهم أهم التصانيف والتأليف المتداولة وسجّلوا الذوق الثقافي للبلدان التي زاروها، كما أنّهم شاركوا بشكل مباشر أو غير مباشر في نقل هذا الذوق من مركز إلى آخر من خلال:

1- تنشيط سوق الكتبيين:

عمل الرحالة المغاربة على التعريف بالأسواق الخاصة ببيع وشراء الكتب وأنواع المصنفات التي تباع فيها، فعلى سبيل المثال: يؤكد الرحالة التمكروتي أن مدينة الجزائر كان سوقها يزخر بكتب الأندلسيين¹⁵، ويشير الرحالة العياشي أنه كان بعين ماضي سوق لبيع بعض الكتب¹⁶، ودأب الرحالة من المغرب الأقصى - الذي يعرف بكثرة أسواق الكتبيين، وأهمها السوق المجاور لجامع القرويين الذي عرف ببيع نفائس الكتب- على امتلاك نفائس الأسفار والمؤلفات، ومثال ذلك نسخة كتاب "نظم الدر والعقيان"، للحافظ التنسي، التي اشتراها أفراد من العائلة الدرعية المعروفون بالترحال، والتي تحتوي على تملكات عدد من علمائها، منهم: الشيخ محمد المكي بن موسى بن محمد الكبير بن ناصر الدرعي، هذه النسخة اشتراها قبلهم علي بن الحسن بن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن رحمون الحسني العلوي في 17 صفر 1043هـ/1633م¹⁷.

2- التعريف المكتبات الخاصة:

دخلت مكتبات المؤسسات العلمية بالإضافة إلى المكتبات الخاصة للعلماء، ضمن اهتمام الرحالة المغاربة، فكان لهم أثر طيب في التعريف بهذه الخزائن، التي كانت منتشرة بكثرة في الحواضر والبوادي، وقد تجلّى اهتمامهم بها من خلال ذكرها في تدوينات رحلاتهم. فهذا العياشي يذكر مكتبة الشيخ محمد بن إسماعيل الذي توفي سنة 1064هـ/1653م بتكوران بالجنوب الجزائري، أن بها كتباً كثيرة تصل إلى حوالي ألف وخمسمائة تأليف اقتنى صاحبها أكثرها من استنبول¹⁸.

والمقري في كتابه "روضة الأس" يتحدث عن مكتبة مفتي وعلامة فاس أبي محمد عبد الله محمد بن قاسم الفاسي المعروف بالقصار (ت 1012هـ/1603م)، التي تعجب من كثرة الكتب بها خصوصاً وأن القصار قام بجمعها لوحده¹⁹. ذكر كل من المقري والرحالة محمد الطيب بن عبد القادر الفاسي (ت 1113هـ/1701م) مكتبة أبي العباس أحمد بن أبي قاسم التادلي الصومعي (ت 1013هـ/1604م) التي اشتملت على نحو 1080 مجلداً²⁰.

وأشار ابن عبد السلام الناصري في رحلته الكبرى، عند مروره على فجيح سنة 1197هـ/1782م، إلى مكتبة دار العدة والمعروفة أيضاً بمكتبة زاوية بني عبد الجبار، التي أسسها الشيخ القاضي العلامة عبد الجبار بن أحمد ابن موسى البرزوزي الفجيحي (ت 920هـ/1514م) وأوقف عليها هو وأولاده وأقاربه - وبالخصوص ولده الإمام الرحالة الشمس محمد بن عبد الجبار (ت 956هـ/1549م) وابن أخيه المحدث الرحالة سيدي بلقاسم- وكبار العلماء تأليف كثيرة، وقد ظلت هذه المكتبة مقصد العلماء والطلبة²¹.

أمّا طرابلس، فقد حظيت بمكتبات خاصة بالعلماء، والتي كانت مقصد الرحالة المغاربة، وذلك لاحتوائها على أمهات الكتب، ومثال ذلك: أن العياشي يطلعنا على أهمها، كمكتبة الشيخ محمد بن أحمد بن مساهل، ومكتبة الشيخ محمد المكني والتميزة بكثر حجمها²².

وإن كان للرحالة دور في التعريف بمكتبات أقرانهم العلماء؛ فهم أيضاً كانوا جماعين للكتب، وقاموا بإنشاء مكتباتهم الخاص، نذكر في هذا المحل بعض النماذج على سبيل الاستشهاد لا الحصر:

- ✓ مكتبة أبي العباس المقري التي استفاد منها علماء وطلبة فاس واحتوت على كتب نفيسة²³.
- ✓ مكتبة الناصريين بدرعة التي أسسها الشيخ محمد بن الناصر الدرعي سنة 1040هـ/1630م، بزواية تمكروت، وقد شارك في توفير الكتب بها جل أفراد العائلة الناصرية المعروفة بكثرت الرحلات²⁴.

- ✓ مكتبة أبي راس الناصر المعروف بحب العلم والسفر، فقد جمع رصيذا من الكتب، قام أحد بايات وهران بحبسها بمكتبة أطلق عليها اسم "بيت المذاهب الأربعة"، وقد اختار هذا الاسم لأن أبا راس كان يرجع للمذاهب الأربعة في فتواه²⁵.
- ✓ مكتبة الشيخ إبراهيم الرياحي التي تجلب إليها كتبها من مختلف الأقطار الإسلامية وأصبحت أنفس قسم اشتملت عليه المكتبة الأحمدية²⁶.
- ✓ مكتبة أحمد بن أبي الضياف التي باعها في حياته وجملتها 1798 مجلدا²⁷.

ثالثا- مساهمة الرحالة في تنوع طرق انتشار الكتب:

استطاع الرحالة تقديم صورة عن الطرق التي شاركوا وساهموا من خلالها في نقل المصنفات العلمية أو إعطاء فكرة عن أهم الكتب الدراسية أو التي كانت محلا للنقاش أو الأكثر شيوعا، كما سلطوا الضوء على أهم التأليف التي كانت دؤنت في عصرهم من خلال تبادلهم واستعارتهم ونسخهم للكتب أو من خلال احتكاكهم العلمي بالعلماء وتبادل الإجازات التي احتوت على معطيات مهمة حول ثقافة مصنفات العصر.

وقد كانت مناسبة الرحلة العلمية والحجية فرصة لعملية التبادل والاستعارة، حيث كان الحجاج المغاربة يتبادلون ويستعيرون الكتب في محطات رحلاتهم ذهابا وإيابا، ومن الأمثلة، نذكر: الرحالة العياشي الذي تبادل الكتب والكراريس مع علماء الجزائر، سواء عند مروره بالفضاء الجزائري أو حين لقيهم في مصر والحجاز²⁸، ويذكر العياشي أيضا أنه تبادل مع الشيخ محمد بن إبراهيم الكراسية التي جمع فيها العياشي معاني الشريطية والكراسية التي سماها: "تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية"، وفي المقابل أعطاه مجموعة من التأليف²⁹.

وكان الرحالة أيضا يستعيرون الكتب وينسخونها أثناء مرورهم على مختلف المحطات التي يمرون بها، من ذلك يذكر الرحالة العياشي وهو في منطقة فجيح استعارته لكتاب: "تيسير الوصول إلى جامع الأصول"، للمحدث اليميني الشيخ عبد الرحمن الديبع، من عند الشيخ محمد بن أبي بكر الذي كتب تأليفا في مناقب الخلفاء لم يرض بإعارة ونسخ كتابه هذا للعياشي؛ إلا بعدما ضمن له أنه سينسخ له بالمقابل تأليف العياشي المسمى "حاشية أبي الحسن على البخاري"³⁰.

وعند نزول العياشي بطرابلس قام باستعارة عدة كتب من عند الشيخ محمد المكفي، منها: "مختصر ابن الحاجب"، والمطول لسعد الدين مسعود التفتازاني (ت791هـ/1389م) وكتاب "العضد" للشيخ الإمام جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب المالكي (ت646هـ/1248م)³¹، واستعار العياشي أيضا عندما كان بطرابلس من الشيخ محمد عبد الله بن عبد العزيز المحروني، كتابي "مختصر معالم الإيمان"، و"روضات الرضوان"، واستفاد منهما حيث سهر ليلة وهو ينسخ ما جاء في الكتب³².

وفيما يخص الرحالة الجزائريين، فيذكر الرحالة المقري استعارته لشرح البردة لابن مرزوق وشرح التوزري للشقراطية من قرينه العالم علي الشامي بفاس³³. ويشير الرحالة الورثياني استعارته لكتاب "شرح ابن عاشر" وهو بطرابلس من الشيخ أحمد الصادق³⁴. أما الرحالة ابن حمادوش فقد اغتنم فرصة تواجده بالمغرب الأقصى لاستعارة مجموعة من الكتب بهدف نسخها، منها: كتاب "ألفية العراقي"، كتاب "السير" للشيخ أحمد بن فارس الرازي، كتاب "السوسي لعبد الله بن محمد الثقفي الأندلسي (ت403هـ / 1012م)"، "منظومة السيوطي" في أجداد المصطفى عليه الصلاة والسلام، كتاب "شرح ايساغوجي في النطق"، "مختصر السنوسي"، حاشية الشيخ اليوسي لكتابه المسمى "نفائس الدرر في حواشي المختصر"، كما نسخ أيضا مجموعة من كتب الفلك وهو بتطوان³⁵. واستعار كذلك من الشيخ عبد القادر الفاسي تأليفا في "أحكام ابن متجر"، المتكون من تأليفين الأول للشاطبي، والثاني لابن معشر³⁶. وتحدث الرحالة أبو راس عن إلحاح أحد علماء فاس عليه لإعارته مؤلفه "درة الحواشي على شرح الشيخ الخراشي"³⁷.

وفيما يتعلق بأكثر المصنفات العلمية شهرة التي تحدث عنها الرحالة من خلال إجازاتهم المتبادلة بين العلماء، فقد ساهموا في الترويج لأهم المراكز العلمية المتخصصة في تدريس أحد العلوم، وأكثر الشخصيات العلمية المتخصصة في كتب معينة ونذكر في هذا المحل بعض النماذج فقط لتوضيح الفكرة.

فمن خلال ما ذكره الرحالة المتمكروتي في الإجازات التي تحصل عليها مثلا في تونس: أسماء العلماء المعروفين بتدريس كتب معينة، أو الذين عرفوا أيضا بشرح أو تلخيص لأهمات الكتب، منهم: الشيخ أبو عبد الله ابن عبد السلام الذي برع في شرح "مختصر ابن الحاجب الفرعي"، وكتاب "الموطأ"³⁸، أما الشيخ أبو عبد الله ابن عمر المتصوف فكان بارعا في تدريس "صحيح مسلم"³⁹. وعرفنا بشروح و مختصرات الشيخ أبو عبد الله بن حريز ، منها: مختصره على "مشكل الحديث" لابن فورك، وكتاب "حديقة الناظر في تلخيص المثل السائل" في علم البيان، وشرح كتاب "المصباح" لابن مالك، وكتاب "إيضاح السبيل والقصد الجليل في علم الخليل" في شرح قصيدة "ابن الحاجب العروضية"⁴⁰.

أما العياشي فله إجازات عديدة تمت بينه وبين العلماء وهو في رحلته الحجبية، عرّف من خلالها بتأليف بعض العلماء، وعلى سبيل المثال: ذكره لمؤلفات والد عبد الكريم الفكون منها: شرحه "لأرجوزة المكودي" كما أنه استفاض في ذكر مؤلفات الشيخ الفكون وأثنى عليه، حتى أنه ذكر قصيدته ومدح الرسول عليه الصلاة والسلام⁴¹.

ويقدم ابن زاكور تفاصيل دقيقة في مجموعة إجازاته التي أخذها من علماء مدينة الجزائر، وبذلك عرّف بأهم الشخصيات العلمية المتخصصة في التدريس من كتب معينة، فهذا الشيخ علي بن عبد الواحد السجلماسي الأنصاري برع في كتاب "جمع الجوامع" للإمام السبكي و"مختصر" ابن الحاجب⁴²، أما الشيخ سعيد بن إبراهيم قدورة الجزائري، فقد كان من بين أهم الشخصيات العلمية في مدينة الجزائر، المتخصصة في

الحديث والفقه والنحو، ومن الكتب التي عرّفت براعة هذه الشخصية فيها: "الحكم" لابن عطاء الله، و"التنوير"، و"لامية ابن مالك" في التصريف، و"الخزرجية" بشرحها للشريف الغرناطي⁴³.

وعرض المقري في الإجازات التي تحصل عليها في المغرب الأقصى رسدا للمؤلفات التي اختص فيها المؤرخ أحمد بن القاضي، منها: "جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس، درة الحجال في غرة أسماء الرجال" و"نيل الأمل فيما به بين المالكية جرى العمل" وغيرها من الكتب⁴⁴. كما أنه أورد أيضا معلومات حول التأليف الصوفية التي كانت في وقته من خلال الإجازة التي أخذها من الشيخ الصوفي أحمد بن أبي القاسم التادلي، صاحب زاوية الصومعة بتادلا، الذي كتب "الدرة النفيسة في فضائل الأديعة الشريفة"، و"نور المصباح في فضائل حزب الفلاح"⁴⁵.

ويذكر الرحالة ابن حمادوش الجزائري في رحلته إلى المغرب الأقصى عددا من المشايخ الذين حضى بنيل إجازاتهم بمدينة تطوان وفاس، وهكذا بيّن مجموعة من الكتب التي كانت محل الدراسة هناك، كما أنه ذكر تأليفهم أيضا منهم: الشيخ البناني⁴⁶ الذي كانت له بشروح، منها: شرحه على "اللامية الزقاقية"، وشرحه الصوفي على الحزب الكبير لقطب أبي الحسن الشاذلي، وشرحه على "الصلاة عبد السلام بن مشيش"⁴⁷.

وأتاح تواجد ابن حمادوش بمدينة تطوان الفرصة له لحضور دروس الشيخ الورززي⁴⁸ بجامع لكاش، الذي كان الشيخ مدرّسا أساسيا اختص بالصّحّيحين وموطأ الإمام مالك، و"مختصر خليل" و"فهرسة الإمام ابن غازي المكناسي الفاسي"، و"فهرسة الشيخ محمّد بن سليمان السوسي المكي"، و"فهرسة إبراهيم الكردي المدني"⁴⁹. ويذكر أيضا براعة الشيخ أحمد بن المبارك في تدريس "مختصر السنوسي في المنطق"⁵⁰.

الخاتمة:

تمّ التّطرق في هذه الورقة البحثية إلى دور الرّحالة المغاربة في نشر ثقافة المصنفات العلمية خلال الفترة الحديثة، عن طريق اقتناء وتبادل الكتب، وتبادل الإجازات العلمية بما احتوته من تعريف للإنتاج لعلماء العصر، ومم سبق ذكره، نستخلص:

- ✓ اختلفت أشكال مساهمة الرحالة في انتقال المصنفات الثقافية في الفضاء المغربي بين اقتناء وتبادل واستعارة الكتب وبين المشاركة في السفارة السلطانية التي كان الهدف منها استيراد ما تم تدوينه في البلدان الأخرى وانتقاء نفائس الأسفار المخطوطة.
- ✓ كان للرحالة دور كبير في التعريف بالمكتبات العامة والخاصة الموجودة في بلدانهم، وساهموا في إثرائها بالرصيد العلمي.

- ✓ ساهمت الإجازات العلمية التي تحصل عليها الرحالة في البلدان التي حلوا بها وارتحلوا إليها أو قدموها هم لطلبة تلك الأماكن في إبراز معطيات هامة عن الكتب والمؤلفات الجديدة.
- ✓ من خلال الاحتكاك العلمي للرحالة بغيرهم رسموا صورة عن عملية انتقال الثقافة عبر المصنفات العلمية.
- ✓ شكّلت الرحلات باختلاف مقاصدها (حجّية، علمية، سفارية، استكشافية) وجهها من أوجه التكامل الثقافي والعلمي للعصر الذي عاشوا فيه.

الهوامش:

- 1 - حسين خوجة، ذيل البشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، تحقيق الطاهر المعري الدار العربية للنشر، ليبيا-تونس 1975م، ص ص130-131.
- 2- عبد الرحمن الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج1، ط1، دار الجيل، بيروت لبنان 1978م، ص 561؛ أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ط6، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009م، ص 287-288.
- 3 - أبوسالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، مج1، تحقيق سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي-الإمارة العربية المتحدة 2006م، ص 173.
- 4 - محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي، الرحلة الناصرية الصغرى، دراسة وتحقيق مُحسن أخريف، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، المملكة المغربية، 1440هـ/2019م، ص ص 178-179؛ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، تاريخ المكتبات الإسلامية ومن أَلَف في الكُتُب، ضبط وتعليق أحمد شوقي بنين، عبد القادر سعود، ط1، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرابطة المحمدية، الرباط-المغرب الأقصى 2013م، ص 232.
- 5- عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة: "لسان المقال في النبا عن النسب والحسب والحال"، تحقيق أبوالقاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983م، ص ص 71، 110-111.
- 6- وافية نفطي، الوقف في مدينة الجزائر من أواخر القرن 18 إلى منتصف القرن 19، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف السبتي غاسيلاني، جامعة باتنة 1-الحاج لخضر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، 2016-2017م، ص 385.
- 7- سلاف القروي، صناعة الكتاب وقراءه في البلاد التونسية خلال القرنين 17-19، ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف هانية عبد الحميد، جامعة تونس 2012، 1-2013م، ص 75.
- 8 - الكتاني، المرجع السابق، ص 202.
- 9- ذكر التمجروتي في رحلته المسماة: "النفحة المسكية في السفارة التركية"، ما نصه: «الكتب بهذه المدينة [يقصد إسطنبول] لا تعد ولا تحصى ولا نهاية لها، والخزائن والأسواق مملوءة بها، جُلب إليها كتب كل بلد، جلبنا منها ما يسره الله من كتب مفيدة». انظر: أبو الحسن علي بن محمد التمجروتي، النفحة المسكية في السفارة التركية، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط-المملكة المغربية 2002م، ص 103.
- 10 - هي الآن محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط، منسوخة سنة 869هـ/1464م، كتبت بخط مشرقى. انظر: الكتاني، المرجع السابق، ص 202.
- 11 - أبو العباس أحمد بن محمد ابن القاضي، ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال، ج2، تحقيق محمد الأحمدى أبو النور، دار التراث، المكتبة العتيقة، القاهرة-تونس، دت، ص ص 190-191.
- 12 - محمد أمين ابن فضل الله المحبي الحنفي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج4، تحقيق مصطفى وهي، المطبعة الوهبية، مصر 1284هـ، ص 293.
- 13 - الكتاني، المرجع السابق، ص ص 220-221.
- 14 - ابن عبد السلام الدرعي، الرحلة الناصرية الصغرى، ص ص 178-179؛ عبد الحي الكتاني، تاريخ المكتبات، ص 232.
- 15- التمجروتي، النفحة المسكية، ص 129.
- 16 - أبوسالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، مج2، تحقيق سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي-الإمارة العربية المتحدة 2006م، ص 546.
- 17 - أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، مخطوطة بالمكتبة الوطنية المغربية، الرباط-المملكة المغربية، رقم 444 ق، ق 639.
- 18- العياشي، الرحلة، مج1، ص 108.

- 19- شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد المقرّي، روضة الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط-المملكة المغربية 1983م ص 332.
- 20- المقرّي، الروضة الأس، ص 300، 302؛ محمد العربي بن الطيب القادري، نشر المثنائي لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج1، تحقيق محمد حجي، أحمد التوفيق، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط-المملكة المغربية 1977م، ص 113؛ خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي، الأعلام، ج1، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان 2002م، ص 198.
- 21- أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الدرعي الناصري، الرحلة الناصرية الكبرى، دراسة وتحقيق المهدي الغالي، جزءان، ج1، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، المملكة المغربية، 1434هـ/2013م، ص 189؛ محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج1، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة فضالة، المغرب الأقصى 1978م، ص 187؛ الكتاني، تاريخ المكتبات، ص ص 209-210.
- 22- العياشي، الرحلة، مج1، ص ص 137، 145-146.
- 23- الكتاني، المرجع السابق، ص ص 213-214.
- 24- حجي، المرجع السابق، ج1، ص 192.
- 25- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 297.
- 26- القروي، المرجع السابق، ص 79.
- 27- نفسه.
- 28- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 295.
- 29- العياشي، الرحلة، مج1، ص 121.
- 30- المصدر نفسه، مج2، ص 550.
- 31- المصدر نفسه، مج1، ص ص 145-146.
- 32- المصدر نفسه، مج2، ص 532.
- 33- أبي العباس أحمد المقرّي، رحلة المقرّي إلى المغرب والمشرق، تحقيق محمد بن معمر، منشورات مخبر مخطوطات الإسلامية في شمال إفريقيا جامعة وهران، مكتبة الرشد للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر 2004م، ص 97.
- 34- الورثيلاني، الرحلة، ص ص 622.
- 35- ابن حمادوش، الرحلة، ص ص 70-71.
- 36- المصدر نفسه، ص 78.
- 37- محمد الناصر أبي راس الناصر، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر دت، ص 102.
- 38- التمكروتي، المصدر نفسه، ص ص 51-52.
- 39- المصدر نفسه، ص 56.
- 40- المصدر نفسه، ص 59.
- 41- العياشي، الرحلة، ج2، ص ص 514-520.
- 42- أبو عبد الله محمد بن قاسم ابن زاكور الفاسي، نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان المعروفة برحلة ابن زاكور الفاسي، تحقيق مصطفى ضيف، محفوظ بوكراع، وزارة الثقافة في إطار تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر 2011م، ص 46.
- 43- المصدر نفسه، ص 48.
- 44- المقرّي، روضة الأس، ص ص 297، 299.
- 45- المصدر نفسه، ص ص 300-302.
- 46- ابن حمادوش، الرحلة، ص 39.
- 47- المصدر نفسه، ص 63.
- 48- أحد أعلام المغرب الأقصى اسمه الكامل أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله الوردزي الدرعي التطواني، ويعرف بالوردزي الكبير، أخذ كنيته الوردزي نسبة إلى منطقة ورزاة بناحية السوس، تربى في جو العلم حيث كانت أسرته مشهورة بالعلم والتدريس، فكان من أكابر العلماء في وقته، اختلف في الفقه والحديث والقراءات، قام بزيارة الحجاز مرتين والتقى بعدد من علماء مصر والشام والحجاز، أخذ عنه الحضيمي صاحب الطبقات، توفي المترجم له سنة 1179هـ/1765م. أمّا عن مؤلفاته فقد عرف بفهرس جمع فيه جميع مروياته. انظر: محمد بن أحمد الحضيمي، طبقات الحضيمي، ج1، تقديم وتحقيق أحمد بومزكو، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء-المملكة المغربية 2006م، ص 113؛ عبد العلي بن عبد الكبير

- الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات، ج2، اعتناء إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان1982م، ص ص 1110-1112.
- ⁴⁹- ابن حمادوش، الرحلة، ص ص 35،38.
- ⁵⁰- المصدر نفسه، ص 85.